وَفَاةُ الرَّسُولِ

دُرُوسٌ وعِبَرٌ

جمعه ورتبه
أ.د/ محمود عبد العزيز يوسف أبوالمعاطي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

وفَاةُ الرَّسُولِ

دُرُوسٌ وعِبَرٌ

جمعه ورتبه

أ.د/ محمود عبد العزيز يوسف أبوالمعاطي

أستاذ الفقه المقارن

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى سابقاً

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أعظم إنسان عرفته البشرية، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الأمة الإسلامية، وصاحب الخلق العظيم، والأخلاق الكريمة.

وقد أثنى الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

وقال تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا، وكان يعامل الناس بالحسنى، ويعفو عن المسيئين، ويصفح عن المعتدين.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب أخلاق كريمة، وكان يتصف بالصدق والأمانة، والكرم، والشجاعة، والعفة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حكيمًا ذا ذكاء حاد، وكان يجيد إدارة الأمور، والحكم بين الناس.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عادلًا رحيمًا، وكان يحكم بين الناس بالعدل، ويعاملهم بالإحسان.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواضعًا حليمًا، وكان يعامل الناس بالتواضع، ويعفو عن المسيئين.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيمًا عطوفًا، وكان يحب الخير للناس، ويسعى إلى مساعدتهم.

وبعد...

فإن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت حدثًا عظيمًا في تاريخ الإسلام، وقد كان لها العديد من الحكم والدروس المستفادة.

منها: تذكير المسلمين بطبيعة الحياة الدنيا وفنائها: فموت الرسول صلى الله عليه وسلم كان تذكيرًا للمسلمين بأن الموت حق على كل إنسان، وأن الدنيا زائلة، وأن الدار الآخرة هي دار القرار.

ومنها: امتحان إيمان المسلمين: فموت الرسول صلى الله عليه وسلم كان امتحانًا لإيمان المسلمين، فكان عليهم أن يثبتوا إيمانهم في هذه المحنة.

ومنها: تنمية روح القيادة عند المسلمين: فوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت فرصة لتنمية روح القيادة عند المسلمين، فكان عليهم أن يختاروا خليفة يقودهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومنها: استمرار رسالة الإسلام: فوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تعني نهاية رسالة الإسلام، بل استمرت هذه الرسالة في ازدهارها وانتشارها في العالم.

أما بالنسبة للحكمة من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على فراشه، فلعلها أن تكون في إظهار عظمة الله تعالى وقدرة حفظه للرسول صلى الله عليه وسلم، وأن تكون أيضًا في إظهار أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو بشر يموت كما يموت جميع البشر.

وهكذا، كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حدثًا عظيمًا في تاريخ الإسلام، وقد كان لها العديد من الحكم والدروس المستفادة، والتي يجب أن نتذكرها دائمًا.

وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كانت حادثة عظيمة في تاريخ الإسلام، فقد كان رسول الله هو المرشد والمعلم للأمة الإسلامية، وكان موته بمثابة فقدان كبير لها.

هناك العديد من الحكم التي يمكن استخلاصها من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، منها:

التأكيد على حقيقة الموت: إن الموت حق على كل إنسان، مهما كان عظيمًا أو رفيعًا.

ضرورة الاستعداد للموت: يجب على كل مسلم أن يستعد للموت بكل ما يملك من قوة وعزيمة، وذلك بالعمل الصالح والتوبة والاستغفار.

أهمية السير على نهج الرسول: يجب على المسلمين أن يسيروا على نهج الرسول في حياتهم، وذلك بالالتزام بشريعته والأخلاق التي دعا إليها.

وفيما يلي بعض التفاصيل حول هذه الحكم:

التأكيد على حقيقة الموت:

إن الموت هو الحقيقة الكبرى التي يجب على كل إنسان أن يدركها، فهو حق على كل مخلوق، مهما كان عظيمًا أو رفيعًا. وقد أكد الله تعالى حقيقة الموت في كتابه الكريم، فقال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (القمر:٢٦-٢٧).

ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تأكيدًا على هذه الحقيقة، فقد كان رسول الله هو القدوة والأسوة للمسلمين، وكان موته بمثابة فقدان كبير لهم. وقد حزن الصحابة رضوان الله عليهم كثيرًا على وفاة الرسول، ولكنهم أدركوا حقيقة الموت، وصبروا على المصاب.

ضرورة الاستعداد للموت:

يجب على كل مسلم أن يستعد للموت بكل ما يملك من قوة وعزيمة، وذلك بالعمل الصالح والتوبة والاستغفار. فالموت هو موعد لا مفر منه، ويجب على المسلم أن يستعد له بالأعمال الصالحة التي تنفعه في الآخرة.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على الاستعداد للموت، فقال: "أكثروا من ذكر هادم اللذات".

أهمية السير على نهج الرسول:

يجب على المسلمين أن يسيروا على نهج الرسول في حياتهم، وذلك بالالتزام بشريعته والأخلاق التي دعا إليها. فالرسول هو القدوة والأسوة للمسلمين، ويجب عليهم أن يتبعوه في كل شؤون حياتهم.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مثالًا رائعًا في كل صفاته وأخلاقه، وكان يدعو المسلمين إلى الالتزام بالفضيلة والأخلاق الفاضلة.

ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت بمثابة دعوة للمسلمين إلى السير على نهجه، والالتزام بشريعته وأخلاقه.

وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت مأساة كبيرة للأمة الإسلامية، فقد كان هو المرشد والمعلم والقائد، وقد ترك وفاته أثرًا عميقًا في نفوس المسلمين.

وهناك العديد من الحكم من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، منها:

التأكيد على أن الموت حق على كل إنسان، حتى الأنبياء والرسل.

اختبار إيمان المسلمين، ومدى تعلقهم بالله ورسوله.

توحيد الأمة الإسلامية، وإخراجها من حالة التعلق الشديد بالنبي صلى الله عليه وسلم.

تهيئة الأمة الإسلامية لقيادة نفسها بنفسها، بعد أن كان النبي صلى الله عليه وسلم هو القائد الأعلى.

المؤلف

أهمية دراسة السيرة النبوية

دراسة السيرة النبوية هي من أهم العلوم الإسلامية، فهي تُعرّف المسلم بحياة نبيّه صلى الله عليه وسلم، وتبين له منهجه في الدعوة والقيادة.

والسيرة النبوية ليست مجرد سرد للأحداث التاريخية، بل هي دراسة شاملة للشخصية الإسلامية المثالية، وهي مصدر إلهام للمسلمين في كل زمان ومكان.

أهداف البحث

يهدف هذا الكتاب إلى تحقيق الأهداف التالية:

تعريف القارئ بحياة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال عرض الأحداث التاريخية الرئيسية في حياته. واستخلاص الدروس والعبر من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

منهج البحث

يعتمد هذا الكتاب على المنهج التاريخي، مع التركيز على الجانب التحليلي، وذلك من خلال عرض الأحداث التاريخية وتحليلها، واستخلاص الدروس والعبر منها.

المصادر

اعتمد هذا البحث على مجموعة من المصادر، منها:

المصادر الأولية: وهي المصادر التي كتبت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو في الفترة القريبة من عهده، مثل سيرة ابن إسحاق وصحيح البخاري.

المصادر الثانوية: وهي المصادر التي كتبت بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، مثل سيرة ابن كثير والمغازي للواقدي.

المراجع الحديثة: وهي المراجع التي كتبها علماء حديثًا، مثل السيرة النبوية الصحيحة والرحيق المختوم.

قائمة المحتويات

يتكون هذا الكتاب من عدة مباحث، وهي:

المبحث الأول: مرض المصطفى

المبحث الثاني: سبب مرض المصطفى

المبحث الثالث: حال الصحابة عند سماع نبأ الوفاة

المبحث الرابع: تغسيل المصطفى وتكفينه والصلاة عليه

المبحث الخامس: الدروس والعبر من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث السادس: نماذج من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

الخاتمة

إن دراسة السيرة النبوية هي من أعظم الأعمال التي يمكن للمسلم أن يقوم بها، فهي تُكسبه معرفة بحياة نبيّه صلى الله عليه وسلم، وتُعينه على الاقتداء به في حياته.

وهذا البحث هو محاولة متواضعة لتعريف القارئ بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، سائلين الله تعالى أن ينفع به.

المبحث الأول

مرض النبي عليه الصلاة والسلام

مَرِضَ النبيُ عليه الصلاة والسلام واشتدَ بهِ المرضُ، فكان أول مرضه صداع الرأس، مع شدة الحمى، فكان من شدة الحمى في مرضه، أنه كان يجلس في مخضب، ويصب عليه الماء من سبع قِرب.

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي

كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: مرحبا بابنتي فأجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم إنه أسر إليها حديثا فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضا، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه دوننا، ثم تبكين؟ وسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقا بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، ثم إنه سارني، فقال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت لذلك.

وسببَ مرضُ النبيِ عليه الصلاة والسلام أنهُ أكلَ من ذراع شاة مسمومة، أهداها إليهِ بعضُ يهودِ المدينةِ.

قالوا: إنْ كانَ دَعيًّا يزعمُ شيئًا غيرَ حقيقي فسيُقتَلُ؛ وبذلكَ نكونُ قدْ فرغنا منهُ. فهذا تخطيطُ يهود.

وبالفعل أُهديتْ شاةٌ مطهيةٌ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وكانَ النبي عليه الصلاة والسلام منْ عادتهِ أنه (يقبل الهديةَ ويُكافئُ عليها).

قال النووي في شرح مسلم في شرحه لحديث الشاة المسمومة:

فيه: بيان عصمته صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم، كما قال الله: (والله يعصمك من الناس)، وهي معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سلامته مِن السم المهلك لغيره، وفي إعلام الله تعالى له بأنها مسمومة، وكلام عضو منه له، فقد جاء في غير مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إن الذراع تخبرني أنها مسمومة). أهـ.

وفي صحيح مسلم عن أنس: أن امرأة يهودية هي زينب بنت الحارث أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: ما كان الله ليسلطك على ذاك، قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا.

وذكر البخاري تعليقاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة: ما أزال

أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم.

وكان ابن مسعود وغيره يقولون: إنه مات شهيداً من السم.

لكن النبي عليه الصلاة والسلام لأنهُ بشرٌ ونبي مؤيد بالوحي منْ السماءِ، حدثتْ معجزةٌ؛ أنَ نطقتْ الشاةَ وهيَ مشويةٌ، معجزةً لرسولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام.

لكنْ كانَ قدْ وصلَ الطعامُ إلى بطن رسولِ اللهِ، فأحدثَ ذلكَ لرسولِ اللهِ بعد ثلاث سنواتٍ، أحدثَ لهُ ما يُشبهُ الحُمى. والحُمى: هيَ اشتدادُ الحرارةِ.

روى الشيخان أن النبيُ عليه الصلاة والسلام قال: «الحُمّى مِنْ فَيْحِ جَهَنّمَ، فأبْرِدُوهَا بالمَاءِ».

واشتدت الحُمى برسولْ اللهِ عليه الصلاة والسلام وهيَ شدةُ الحرارةِ بسببِ السُّم الذي أكلهُ.

النبيُ عليه الصلاة والسلام ودَّع المسلمونَ في السنةِ الحاديةِ عشرةَ للهجرةِ في حجةِ الوداعِ. وحَجةَ الوداعِ كانتْ الحجَة الوحيدة التي حجَّها النبيُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ. وكانتْ مؤتمرًا عظيمًا اجتمعَ فيهِ أغلبَ الصحابةِ في حجةِ الوداعِ في مكةَ المكرمةِ في أرضِ عرفات.

فخطبَ فيهمْ رسولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام، وأنذرهمْ وبشَّرهمْ وأمرهمْ ونهاهم وعلَّمهمْ ودعا لهمْ. وكانَ يركبُ على ناقته القصواء حتى يبرز في الناسِ.

وأوصاهمْ النبيُ عليه الصلاة والسلام بحُسنِ معاملةِ النساءِ، وأوصاهمْ النبيُ عليه الصلاة والسلام بالأيتامِ، وأوصاهمْ النبيُ عليه الصلاة والسلام بالخدمِ والرقيقِ مِلك اليمينِ.

ثمَ بعدَ ذلكَ قالَ: " أيها الناسُ، ألا هَل بَلَغت؟ قالوا: نعمْ يا رسولُ اللهِ. قالَ: اللّهُمَّ فاشهد ". رواه البخاري

النبيّ عليه الصلاة والسلام تعلقتْ بهِ قلوب الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهمْ، ولمَ لا تتعلق بهِ قلوب الصحابة؟! وقدْ أخرجهمْ اللهُ بهِ منْ الظلماتِ إلى النورِ.

أخرجهمْ اللهُ بهِ منْ الشركِ إلى التوحيدِ.

منْ عبادةِ الأصنامِ إلى عبادةِ اللهِ جلَ في علاهُ.

منْ وأدِ البناتِ إلى الإحسانِ إلى البناتِ.

حوَّلهمْ اللهُ بهِ منْ أنْ يتزوج زوجةُ أبيهِ ويتزوجَ أختهُ، وحياةٌ لا قيمة لها.

حوَّلهمْ إلى قادةٍ لجميعِ الأممِ.

يقولَ بعضُ المستشرقينَ: لقدْ نجحَ محمدْ بنْ عبدِ اللهْ في تحويلِ العربِ منْ رُعاةٍ للغنمِ إلى قادةٍ وسادةٍ لجميعِ الأممِ في فترةٍ زمنيةٍ لا تساوي في حساب الزمن شيئًا. في فترة قصيرة جدًا.

تُوفِّي النبي عليه الصلاة والسلام وعُمره ٦٣ سنة، توفي في شهر ربيع الأول، يوم الاثنين، وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد وُلد يوم الاثنين.

يعني يوم الاثنين يوم وُلد فيه النبي عليه الصلاة والسلام ويوم تُوفي فيه.

وفي صحيح مسلم «سُئل النبي عليه الصلاة والسلام عن صيام يوم الاثنين. فقال: ذلك يوم وُلدتُ فيه».

ثم قُبِضت روح رسول الله عليه الصلاة والسلام في يوم الاثنين، في السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية.

النبي عليه الصلاة والسلام بعدما ودَّع الصحابة في حجة الوداع، رجع إلى المدينة المنورة، واشتد به المرض حتى أنه حُبس عن الصلاة في المسجد.

فاستأذن النبي عليه الصلاة والسلام من زوجاته؛ لأنه كان يعدل بين نسائه، فكان للمصطفى أكثر من زوجة، قيل: سبع، وقيل: تسع، وهذه خصيصة، من خصائص النبي عليه الصلاة والسلام.

فاستأذنهن جميعًا أن يُمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنها.

وكان المصطفى يحب عائشة ويرتاح لها، لأنها كانت فقيهة عالمة، تعلمت من رسول الله، وحملت عِلم رسول الله عليه الصلاة والسلام جُله؛ أغلب عِلم رسول الله كان عند عائشة رضي الله عنها.

فاستأذنهن المصطفى وطيَّب خاطرهن أن يُمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنها.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام ينامُ بين سَحْرها ونحرها.

في الحديث المتفق عليه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: « فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي؛ قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي؛ وَدُفِنَ فِي بَيْتِي » وفي رواية البخاري (مات بين حاقنتي وذاقنتي).

والنبي عليه الصلاة والسلام كانت رجلاه لا تحملاه أن يُصلي إمامًا كما كان يفعل في مسجده عليه الصلاة والسلام، وكان الصحابة في حُزن شديد، فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام: « مُروا أبا بكرٍ فليُصلي بالناس ».

وهذه وصية من رسول الله، من آخر وصايا رسول الله عليه الصلاة والسلام: « مُروا أبا بكرٍ فليُصلي بالناس ». رواه البخاري

ما قال علي، وما قال عمر، وما قال عثمان، وما قال أبو هريرة، وما قال عمرو بن العاص...

قال: (مُروا أبا بكر) تحديدًا؛ وذلك لما سيأتي لأبي بكر مَهام عظيمة في هذا الحدث الجلل.

فكانت أمنا عائشة رضي الله عنها تكره ذلك؛ خشية أن يتشاءم الناس بأن أباها هو الذي يصلي بعد رسول الله.

فغضب النبي عليه الصلاة والسلام من عائشة أنها تكره أن والدها هو الذي يصلي بالناس في هذا الحدث الصعب.

والصحابة رضي الله عنهم في انتظار حدث صعب سيحدث.

عائشة رضي الله عنها خشيت أنْ يتشاءمَ الناسُ منْ خروجِ أبيها يصلي إمامًا بالناسِ.

لكنَ ألحَّ عليها النبيُ عليه الصلاة والسلام: (مُرِّي أباكِ أنْ يُصليَ بالناسِ).

حتى قالتْ عائشة: " إن أبا بكر رجلٌ ضعيف أسيف، إذا قرأَ بكى، فلا يسمعُ الناسُ قراءتهُ ". حتى قال النبي عليه الصلاة والسلام: (أنتن صويحبات يوسف) رواه البخاري

فذكَّر عائشة ما فعلته النساء مع يوسف عليه السلام.

فعُلمَ أن عائشة رضي الله عنها كانت تكرهُ أنَ والدها يصلي بالناسِ.

فقال (مُروا أبا بكر فليصلِ بالناسِ) وهذهِ وصيةً واضحةً كوضوحِ الشمسِ في رابعة النهار بأنَ الخلافةَ بعدَ رسولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام لأبي بكر الصديقِ.

كانوا يقولونَ عن أبي بكر: (ارتضاهُ رسولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام لديننا - أنَ يؤم في الصلاةِ - أفلا نرضاهُ لدنيانا) أنْ يكونَ خليفةً لرسول الله يَسوسنا ويقودنا.

وفي سنن الترمذي قال ابن مسعود: "لا نُؤَخِّرُ مَن قدَّمه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم، ألَا نَرْضَى لدُنيانا مَن ارتَضاه لدِينِنا! "

بدأ أبو بكر يُصلي بالناس، وفي وقتٍ من الأوقات كشف النبي عليه الصلاة والسلام السِّتار من غرفة عائشة، ونظر في المسجد في وقت صلاةِ الناسِ.

ففرحَ الصحابةُ رضي الله عنهم برؤيةِ رسولِ اللهِ، حتى كادوا أنْ يخرجوا منْ الصلاةِ وهمْ يصلونَ خلف أبي بكر؛ ومنْ شدةِ فرحهمْ أنَ رسولَ اللهِ قدْ شُفيَ وأنهُ سيعودُ لإمامةِ الناسِ.

وثبت أنَ النبيَ عليه الصلاة والسلام خرجَ ليُصليَ خلفَ أبو بكرْ. أبو بكرْ يُصلي إمامَ، والنبيِ عليه الصلاة والسلام يصلي خلفهُ.

فهَمَّ أبو بكرٍ أنْ يخرج منْ الصلاةِ ويُقدِّمُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم. فقال له النبيُ عليه الصلاة والسلام: أُثْبُت يا أبا بكر؛ يعني أتم صلاتك.

لذا قال أهل العلم في هذا الموقفِ، (يجوزُ إمامة المفضول معَ وجودِ الفاضلِ).

يعني رسولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام أفضلُ منْ أبي بكرْ، ومعَ ذلكَ يجوزُ أن منْ هوَ أقل حالاً أنْ يصليَ إمامًا.

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يوذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس، فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: مروا أبا بكر يصلي بالناس فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه

متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، قال: إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة، فقام يهادى بين رجلين، ورجلاه يخطان في الأرض، حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه، ذهب أبو بكر يتأخر، فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائما، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا، يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مقتدون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه.

فقالوا: تجوز إمامة المفضولُ معَ وجودِ الأفضلَ منهُ وهوَ رسولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام.

ثم جاءتْ ساعةَ السكراتِ وساعةِ الكُرباتِ، واجتمعَ الناسُ حولَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ، وهوَ في بيتِ عائشة رضيَ اللهُ عنها.

(وكانَ يمسحُ جبينهُ بالماءِ ويقولُ: سبحانَ اللهِ! إنَّ للموتِ لسكراتِ، اللّهُمَّ هونَ على محمدٍ سكراتِ الموتِ). ثلاثُ مراتِ. رواه البخاري في صحيحه

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك وعكًا شديدًا، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكًا شديدًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أوعك كما يوعك رجلان منكم. قلت: بأن لك أجرين؟ قال: نعم. ثم قال: ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا حطَّ الله عز وجل عنه خطاياه كما تحط الشجرة ورقها.

وفي هذهِ اللحظاتِ دخل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، على النبي صلى الله عليه وسلم وفي يدهِ سواكَ، فنظرَ النبيُ إلى السواكِ في يدِ عبدِ الرحمن، فعلمتْ عائشة أنهُ يريدُ السواكُ، فأخذتْ السواكَ منْ أخيها، ثمَ غسلتهُ، ثمَ أعطتهُ لرسولِ اللهِ، فاستاكَ بهِ استياكًا عظيمًا. رواه البخاري

ولقول المصطفى فيما رواه النسائي (السِواكُ مطهرةً للفمِ، مرضاةً للربِ)، فأرادْ النبيِ عليه الصلاة والسلام أنْ يُطهِّر فمهُ، استعداداً للقاء اللهِ جلَ في علاهُ.

اقتراب أجل المصطفى

تُوفي النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة النبوية وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح، فعن معاوية رضي الله عنه قال: (قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة) رواه مسلم

وكان يوم وفاته صلوات الله وسلامه عليه أشد الأيام وحشة وظلمة ومصاباً على المسلمين

فعن أنس رضي الله عنه قال: (لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء) رواه الترمذي وصححه الألباني.

والمتأمل لأحداث السيرة النبوية يرى أن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سبقها نزول آيات قرآنية وبعض المواقف النبوية التي تشير إلى قُرب وفاته صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك:

آيات قرآنية تشير إلى قرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم:

نزلت آيات قرآنية تنص صراحة على موت النبي صلى الله عليه وسلم، كقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر:٣٠)

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء:٣٤).

وهناك بعض الآيات القرآنية أشارت إلى قرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم تصرح به.

ومن ذلك نزول سورة النصر، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاه مع أشياخ بدر (من شهد بدراً من المهاجرين والأنصار)، فسألهم عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ﴾ (النَّصر:١)

فقال بعضهم: أُمِرْنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا. قال ابن عباس: فقال لي عمر: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ قال: فقلتُ: لا، قال: فما تقول؟ قال: هو أجَل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ﴾، وذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان توابا. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول) رواه البخاري.

قال ابن حجر في الفتح: "وفي هذا الحديث: فضيلة ظاهرة لابن عباس رضي الله عنهما، وتأثير لإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه الله التأويل، ويفقهه في الدين. وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال عليّ رضي الله عنه: أوْ فهما يؤتيه الله رجلا في القرآن". وقال ابن القيم: "كأنه رضي الله عنه أخذه من قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ (النَّصر:٣) لأنه كان يجعل الاستغفار في خواتم الأمور".

ومن الآيات القرآنية التي أشارت إلى قرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾ (المائدة:٣)، ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكى حين نزلت هذه الآية، فقيل ما يبكيك؟! فقال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان، وكأنه استشعر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم".

وقال ابن حجر: "وهيَ قبل موته صلى الله عليه وسلم بِنَحْوِ ثمانين يوْماً".

وقد أشعر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وأشار إليهم في أكثر من موقف بقرب موته وانتقاله إلى جوار ربه، ومن ذلك:

١ ـ وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ:

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصاياه لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن في السنة العاشرة للهجرة النبوية قال له: (يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري. فبكى معاذ لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه البخاري، قال ابن كثير: "وهذا الحديث فيه إشارة وظهور وإيماء إلى أن معاذاً رضي الله عنه لا يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، وكذلك وقع".

٢ ـ مدارسته صلى الله عليه وسلم القرآن مع جبريل:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض (يدارس) القرآن كل عام في رمضان على جبريل عليه السلام مرَّة، فعرضه في ذلك العام الذي قُبِض فيه مرّتين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (أسرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فاطمة رضي الله عنها، فأخبرها: أن جبريل كان يعارضه القرآن كل سنة مرة، وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نعم

السلف أنا لك) رواه البخاري. قال ابن الأثير: "أي كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن".

٣ ـ مضاعفة اعتكافه رمضان:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان كل عام، فلما كان العام الذي قُبِض فيه اعتكف عشرين يوماً، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبِض فيه اعتكف عشرين يوما). وفي شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية قال: "لأنه علم بانقضاء أجله فاستكثر من الأعمال الصالحة تشريعاً لأمته أن يجتهدوا في العمل إذا بلغوا أقصى العمر ليلقوا الله على خير أعمالهم".

٤ ـ حجَّة الوداع:

في حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة النبوية قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: (رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة على راحلته يوم النحر ويقول: لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد

حجتي هذه)، وفي رواية للنسائي صححها الألباني قال صلى الله عليه وسلم: (خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا).

٥ ـ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم واستغفاره لأهل البقيع، وصلاته على قتلى أُحُد:

في السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البقيع في جوف الليل، فاستغفر لأهله. وفي السنة نفسها ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أُحُد، فصلي على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات، عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلَّى على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: إني بين أيديكم فَرَط (سابق)، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا.. قال عقبة: فكانت آخر نظرة نظرتُها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر) رواه البخاري.

قال ابن حجر: " الأحاديث الصحيحة دلت أن شهداء المعركة لا يُصَلَّى عليهم، أما هذا الحديث فكأنه صلى الله عليه وسلم دعا لهم واستغفر لهم حين علم قرب أجله مودعاً لهم بذلك، كما ودع أهل البقيع بالاستغفار لهم".

وقبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأيام حين اشتد به المرض أخبر أصحابه بقرب وفاته إشارة وتعريضاً، ففهم ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه وبكى، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، فقلت في نفسي: ما يُبْكِي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خيَّر عبْداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله! فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا) رواه البخاري.

الأحداث الكبيرة يجعل الله عز وجل لها مقدمات وإرهاصات، ولا شك أن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ليست كوفاة سائر البشر، ولا كسائر الأنبياء، إذ بموته صلى الله عليه وسلم انقطعت النبوات، وانقطع خبر السماء ووحي الله عن الأرض، والآيات القرآنية والمواقف والأحاديث النبوية السابقة هي بعض الإشارات والإرهاصات على قُرْبِ موته ورحيله صلى الله عليه وسلم من الدنيا إلى الرفيق الأعلى، فليس لأحدٍ أن يخْلد في هذه الدنيا حتى نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر:٣٠).

ينظر: إشارات ودلالات على قُرب وفاة النبي، إسلام ويب.

آخر وصية للمصطفى

لما اشتدتْ السكراتُ والكُربات بالنبي عليه الصلاة والسلام أوصاهمْ بوصايا، فقالَ لهمْ: (الصلاةِ الصلاةِ) يعني حافظوا على الصلاةِ، واظِبوا على الصلاةِ، لا تتركوا الصلاةُ، لا تُضيعوا الصلاةُ.

وكم في الأمةِ منْ يُضيع الصلاةِ ولا يعملُ بوصيةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟!

كم في الأمةِ منْ يؤخرُ الصلاةَ عنْ وقتها؟!

كم في الأمةِ منْ يصلي فرضًا واحدًا في اليومِ؟!

كم في الأمةِ منْ يصلي فرضًا واحدًا في الأسبوع ولا يعملونَ بوصيةِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ؟!

آخر وصية لرسول الله: (الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانُكم)

يُوصيهم بالضعفاء، ويُوصيهم بالمساكين مِلك اليمين كانوا ضعفاء لا حول لهم ولا قوة، كانوا يجلسون في رمضاء مكة في الحر الشديد، وفي المدينة في الحر الشديد، فكان يُوصيهم بالضعفاء؛ الذين لا ناصر لهم. يوصيهم بالإحسان إلى الضعفاء؛ بإطعامهم، بإعطائهم أجورهم، بأن يهتموا بهم.

ثم لما فاضت روح رسول الله عليه الصلاة والسلام وبكى الصحابة بكاءً عظيمًا

فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله، قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده، لا يذيقك الله الموتتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف، على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت). رواه البخاري من حديث عائشة.

وبكى الصحابة بكاء عظيماً حتى أن بعضهم لم يستطع أن يتكلم من شدة حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

حتى خرج عليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وخطب فيهم ثم قال: (أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت)، ثم قرأ عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ

عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤].

وروى البخاري عن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ، فَمَا يُسْمَعُ بَشَرٌ إِلَّا يَتْلُوهَا).

فهنا سقط عُمر على الأرض وكأنه لأول مرة يسمع هذه الآية. فكان الناس في حالة ذهول؛ وما ذلك إلا لشدة تعلقهم برسول الله عليه الصلاة والسلام.

وهنا نذكر ما قاله أبو سفيان رضي الله عنه في عبارته المشهورة: "ما رأيتُ أحدًا يُحب أحدًا كحُب أصحاب محمد محمداً صلى الله عليه وسلم" وذلك من جميل أخلاقه.

انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٧٢).

لما اشتد المرض برسول الله عليه الصلاة والسلام قالت فاطمة رضي الله عنها وقالت: (واكرب أبتاه) فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام وهو ينازع سكرات الموت: (لا كرب على أبيك بعد اليوم) رواه البخاري

فلما فاضت روحه، قالت فاطمة: (يا أبتاه، أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه). رواه البخاري

فلما دفن الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت فاطمة للصحابة وهم قد رجعوا من دفن رسول الله: « أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا التُّرَابَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ؟! » رواه البخاري

ولقد دُفن المصطفى في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها في المكان الذي مات فيه.

تسرب خبر وفاة رسول الله في أرجاء المدينة، وأظلمت نواحيها.

وتذكر أنس بن مالك رضي الله عنه يوم الهجرة يوم دخول رسول الله إلى المدينة، وقارنه بهذا اليوم الذي مات فيه، فقال: ما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله.

وقد شارك في غسله العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، والفضل وقثم أبني العباس، وشقران مولى رسول الله، وأسامة بن زيد، وأوس بن خولي. فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله، وأوس أسنده إلى صدره.

ثم كفنوه في ثلاثة أثواب. أدرجوه فيها إدراجاً.

واختلفوا في موضع دفنه، فما من خلاف حدث بينهم إلا حرصاً منهم تنفيذ تعاليم نبيهم. فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله يقول: ما قُبض نبي إلا دفن حيث يقبض، فرفع فراشه الذي توفي عليه، فحفر تحته.

ودخل الناس الحجرة أرسالاً عشرة فعشرة، يصلون على رسول الله ولا يؤمهم أحد، وصلى عليه أولاً أهل عشيرته، ثم المهاجرون، ثم

الأنصار، وصلت عليه النساء بعد الرجال، ثم صلى عليه الصبيان. ولم يؤم الناس على رسول الله أحد.

السيرة النبوية لابن هشام، ٦٦٣/٤.

حتى قال أنس بن مالك: وما نفَضنا عنِ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ الأيديَ حتَّى أنْكَرنا قلوبَنا. رواه الترمذي وابن ماجة

كان الصحابة رضي الله عنهم يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا جما، وكان أشد يوم عليهم يوم موته وفراقه، وهذا حال أي محب مع محبوبه، فقربه يسره وبعده يسوؤه.

يقول أنس بن مالك " وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا "

أي: وما نفوسنا وقلوبنا في حال دفن النبي صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت عما كانت عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي فيهم؛ فأصبحت القلوب لم تجد مثل ما كانت تجده من الأنوار والصفاء والرقة والألفة؛ لما انقطع عليهم من الوحي وفقدان ما كان يحفهم به النبي صلى الله عليه وسلم من التأييد والتعليم، وليس المراد: أنها تغيرت عن الهداية والصدق؛ فوجود النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا كان نورا وهداية، وقاطعا لكل نزاع، وكان الوحي ينزل عليه من ربه،

وبموته انقطع الوحي وبقي للمسلمين اجتهادهم فيما جاء به، بين مصيب ومخطئ.

(الموسوعة الحديثية شروح الأحاديث الدرر السنية)

والله تعالى يقول للنبي عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠]. وهذا الدرس الذي نتعلمه، أنه ما من إنسان إلا سيموت مهما علا شأنه: نبي، أو رسول.

في هذه اللحظات دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الجسد الشريف قد فارقته الروح، فكشف الثوب عن وجه رسول الله عليه الصلاة والسلام وقبَّله بين عينيه، وقال له: (طبتَ حيًّا وميتًا يا رسول الله).

روى البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أنها قالت: (أقبل أبو بكر رضي الله عنه على فرسه من مسكنه بالسنح حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها، فتيمم النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى ببرد حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه، فقبله، ثم بكى، فقال: بأبي أنت يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها).

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الدين، وقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم عظيم المثل في حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم، في حياته وبعد مماته صلى الله عليه وسلم.

ولما مات النبي عليه الصلاة والسلام، وصعدت روحه إلى الله، كان الناس في حالة حزن وبكاء.

فكانوا يقولون: لمن أُصيب بعد ذلك بفقد ولد أو أب أو عزيز يبكي عليه، يقولون له: (اذكر مُصابك برسول الله صلى الله عليه وسلم).

ولقول المصطفى (يا أَيُّها الناسُ ! أَيُّما أحدٍ من المؤمنينَ أُصِيبَ بمصيبةٍ، فلْيَتَعَزَّ بمصيبتِه بي، عن المصيبةِ التي تُصِيبُه بغيري، فإنَّ أحدًا من أُمَّتي، لن يُصابَ بمصيبةٍ بعدي أَشَدَّ عليه من مصيبتي) رواه ابن ماجة وصححه الألباني من حديث عائشة.

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " خدمتُ رسول الله عليه الصلاة والسلام عشر سنين. فما قال لشيءٍ تركته، لما تركته؟ ولا لشيءٍ فعلته، لم فعلته؟ وما مسستُ حريرًا ولا ديباجًا ألين من كفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممتُ رائحةً قطُّ أطيبَ من ريحِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ".

نبينا محمد، بلَّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين (أي: الموت)؛ لأن الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩] أي الموت. اللّٰهُمَّ صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهَديه واستنَّ بسنته، وسار على دَربه إلى يوم الدين.

حقوق المصطفى على أمته

ومن حق رسول الله عليه الصلاة والسلام على أمته أن نتعلم علم رسول الله، وأن نحرص على غرس ذلك في أبنائنا فنعلمهم علم رسول الله.

فنقرأ لهم من كتاب (رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين).

نُعلمهم هَدي النبي في الطعام، وهدي النبي في الشراب.

وكيف كان ينام النبي، فننام على سنة النبي المصطفى.

ونأكل على سنة النبي، ونشرب على سنة النبي المصطفى.

ونتزوج على سنة النبي المصطفى، ونعزي على سنة النبي المصطفى.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

ميراث النبي صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ مَرّ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: "يَا أَهْلَ السُّوقِ، مَا أَعْجَزَكُمْ! قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا: هُرَيْرَةَ؟! قَالَ: ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللّه صلى الله عليه وسلم يُقْسَمُ، وَأَنْتُمْ هَا هُنَا لا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيبَكُمْ مِنْهُ؟! قَالُوا: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي الْمَسْجِدِ. فَخَرَجُوا سِرَاعًا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتّى رَجَعُوا، فَقَالَ لَهُمْ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا، فَلَمْ نَرَ فِيهِ شَيْئًا يُقْسَمُ. فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَمَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا؟ قَالُوا: بَلَى، رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ، وَقَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَقَوْمًا يَتَذَاكَرُونَ الْحَلالَ وَالْحَرَامَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَيْحَكُمْ، فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمّدٍ صلى الله عليه وسلم"

(رواه الطبراني في الأوسط، حَسن إسناده المنذري والألباني).

بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام نزل أبو هريرة إلى السوق، فوجد الناس يشترون ويبيعون، فقال لهم: يا أهل السوق، هلموا بنا إلى أن تأخذوا نصيبكم من ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم. هلموا إلى أخذ نصيبكم من ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذهبوا إلى المسجد، فوجدوا حلقات العلم تُحدث بأحاديث

النبي عليه الصلاة والسلام. فقالوا: ما لك يا أبا هريرة؟ قال: أنسيتم « أن الأنبياء لم يُورثوا دينارًا ولا درهمًا؛ وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر ». رواه أبو داود والترمذي، أي تعلَّموا علم نبيكم.

وقد فَهِمَ الصحابة رضوان الله عليهم أن ميراث النبي صلى الله عليه وسلم هو الكتاب والسنة، والعلم، والاهتداء بهديه صلوات الله وسلامه عليه، فقد أخرج الخطيب البغدادي بسنده في شرف أصحاب الحديث عن سليمان بن مهران قال: "بينما ابن مسعود رضي الله عنه يوماً معه نفر من أصحابه إذ مرَّ أعرابي فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ قال ابن مسعود رضي الله عنه: على ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقسِّمونه".

والنبي عليه الصلاة والسلام بشَّر من يتعلم أحاديث رسول الله ويبلغها للناس ببشرى عظيمة.

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: « نضَّر الله امرءًا سمِع مقالَتي فوعاها وحفِظها وبلَّغها فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه ». رواه الترمذي في سننه

دعا له النبي عليه الصلاة والسلام بنضارة الوجه لمن يحفظ أحاديث رسول الله ويبلغها للناس.

والآن أبناؤنا يتعلمون اللغات الأوربية، وليس في أبناء المسلمين من يحفظ صحيح البخاري وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجة، وسنن أبو داوود والتي جمعت أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام.

أما آنَ لنا من عودة إلى سنة رسول الله حتى نكون رفقاء المصطفى في الجنة؟

وحتى نشرب من يد المصطفى عليه الصلاة والسلام شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

أما آنَ لنا أن نُعلِّم أبناءنا سنة النبي المصطفى؟

أما آنَ لنا أن نقتدي بسنة النبي المصطفى؟

أما آنَ لنا أن نُكثر من الصلاة والسلام على رسول الله؟

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على نبينا محمد في الأولين، وصلِ على نبينا محمد في الآخرين، وصلِ على نبينا محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

نماذج من محبة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم

١ ـ قال ابن القيم: "كان الصحابة يقونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحرب بنفوسهم حتى يُصرعوا حوله".

٢ ـ فهذه امرأة من بني دينار، أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحد، فلما نُعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل، تريد: صغيرة.

قال ابن هشام: "الجلل يكون من القليل ومن الكثير، وهو ها هنا القليل".

٣ ـ وهذا زيد بن الدَّثِنَة رضي الله عنه كان أسيرًا في مكة، فبعث به صفوان بن أمية بن خلف مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم ليقتله بأبيه، واجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال

له أبو سفيان حين قُدِّم ليُقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال زيد: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي. قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا، ثم قتله نسطاس.

٤ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليّ من نفسي، وأحب إليّ من أهلي، وأحب إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك.

٥ ـ وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليَّ أن أصل من قرابتي.

٦ ـ وقال عبد الله بن عمر لأبيه: لم فضَّلْت أسامةَ عليَّ؟ فوالله ما سبقني إلى مشهد، قال: لأن زيدًا كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك، وكان أسامة أحبَّ إلى رسول الله منك، فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي.

٧ ـ وقال عمر بن الخطاب للعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم: أسلم، فوالله لأن تسلم أحب إليّ من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا لأنه كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٨ ـ وقال عمرو بن العاص: وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه.

٩ ـ وقال إسحاق التجيبي: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا.

قال القاضي عياض: "وكذلك كثير من التابعين، منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقًا إليه، ومنهم من يفعله تهيبًا وتوقيرًا".

١٠ ـ وقال مصعب بن عبد الله: "كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يومًا في ذلك، فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليَّ ما ترون، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر، وكان سيد القراء، لا نكاد نسأله عن حديث أبدًا إلا يبكي حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد، وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم

اصفرَّ، وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة، ولقد اختلفت إليه زمانًا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصليًا وإما صامتًا وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل، ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيُنظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبة منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينية دموع، ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته، ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه".

١١ ـ وقال القاضي عياض: "فبالحقيقة من أحب شيئًا أحب كل شيء يحبه، وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس، وقد قال أنس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة: فما زلت أحب الدباء من يومئذ، وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعامًا مما

كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك".

ينظر: الملف العلمي لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم.

اللَّهُمَّ اجعلنا رفقاء النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة

اللَّهُمَّ احشرنا تحت لوائه، وأوردنا حوضه، واسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

اللَّهُمَّ كما آمنَّا به ولم نره، فلا تُفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مُدخله.

اللَّهُمَّ أجزه عنّا خير ما جزيت نبيًا عن أمته، ورسولًا عن دعوته ورسالته.

اللَّهُمَّ أحينا على سنته صلى الله عليه وسلم، وتوفنا على ملته.

اللَّهُمَّ شفِّع فينا سيد الأولين والآخرين.

اللَّهُمَّ اجعل هذا البلد أمنًا أمانًا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

وجازِ من بنى هذا المسجد عنّا جميعًا خير الجزاء، واجعله في ميزان حسناته يوم أن يلقاك يا رب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِ اللّٰهُمَّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الخاتمة وأهم النتائج

كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مأساة كبيرة للأمة الإسلامية، فقد فقدت الأمة نبيها وقائدها، وقد تركت وفاته أثرًا عميقًا في نفوس المسلمين، حتى يومنا هذا. لكن كانت هناك حِكم عظيمة لهذا الحدث الجلل ومنها على سبيل المثال:

١- التأكيد على أن الموت حق على كل إنسان

من الحكم من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أنها أكدت أن الموت حق على كل إنسان، حتى الأنبياء والرسل. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الوحيد الذي استطاع أن يجمع العالم كله على كلمة واحدة، وقد كان هو القائد الأعلى للأمة الإسلامية، وقد كان هو النموذج الكامل للإنسان المؤمن. ومع ذلك، فقد مات صلى الله عليه وسلم، وهذا دليل على أن الموت حق على كل إنسان، وأن لا أحد محصن من الموت، مهما بلغ من الشرف أو المكانة.

٢- اختبار إيمان المسلمين

من الحكم من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أنها كانت اختبارًا لإيمان المسلمين، ومدى تعلقهم بالله ورسوله. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الحبيب والمعلم والقائد، وقد كان المسلمون يتبعونه في كل أمر. ومع ذلك، فقد مات صلى الله عليه وسلم، وهذا كان بمثابة صدمة كبيرة للمسلمين، وقد اختلفت ردود أفعالهم على وفاته، فبعضهم أظهر الصبر والثبات، والبعض الآخر أظهر الحزن الشديد، والبعض الآخر أظهر الشك والارتياب.

٣- توحيد الأمة الإسلامية

من الحكم من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أنها ساهمت في توحيد الأمة الإسلامية، وإخراجها من حالة التعلق الشديد بالنبي صلى الله عليه وسلم. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هو القائد الأعلى للأمة الإسلامية، وكان المسلمون يتبعونه في كل أمر. ومع ذلك، فقد مات صلى الله عليه وسلم، وأصبح المسلمون مطالبين بقيادة أنفسهم بنفسهم، وهذا أدى إلى ظهور الخلافة الإسلامية، التي وحدت الأمة الإسلامية تحت راية واحدة.

٤- تهيئة الأمة الإسلامية لقيادة نفسها بنفسها

من الحكم من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أنها مهدت الطريق لقيادة الأمة الإسلامية نفسها بنفسها. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هو القائد الأعلى للأمة الإسلامية، وكان المسلمون يتبعونه في كل أمر. ومع ذلك، فقد مات صلى الله عليه وسلم، وأصبح المسلمون مطالبين بقيادة أنفسهم بنفسهم، وهذا أدى إلى ظهور الخلافة الإسلامية، التي وحدت الأمة الإسلامية تحت راية واحدة، وجعلت الأمة قادرة على مواجهة التحديات التي تواجهها.

٥- فضل الصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

الصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من أعظم العبادات التي يمكن للمسلم أن يقوم بها، فهي تعبير عن محبته صلى الله عليه وسلم، وامتثالًا لأوامر الله تعالى التي قال فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الصلاة والسلام عليه تضاعف الحسنات، وتكفر السيئات، وترفع الدرجات، وتقرب العبد من الله تعالى.

ولذلك، يجب على المسلم أن يحرص على الصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في كل وقت وحين، لكي يفوز بعظيم فضله ورحمته.

اللّٰهُمَّ صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مراجع في السيرة النبوية

يوجد العديد من المراجع في السيرة النبوية، منها:

المصادر الأولية:

وهي المصادر التي كتبت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو في الفترة القريبة من عهده، ومن أشهرها:

سيرة ابن إسحاق: وهي أول سيرة كاملة للرسول صلى الله عليه وسلم، كتبها ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ.

السيرة النبوية لابن هشام: وهي اختصار لسيرة ابن إسحاق، كتبها ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ.

صحيح البخاري: وهو أصح كتاب في الحديث النبوي، جمعه الإمام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ.

صحيح مسلم: وهو ثاني أصح كتاب في الحديث النبوي، جمعه الإمام مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ.

المصادر الثانوية:

وهي المصادر التي كتبت بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن أشهرها:

السيرة النبوية لابن كثير: وهي سيرة مفصلة للرسول صلى الله عليه وسلم، كتبها ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.

المغازي للواقدي: وهي مجموعة من الروايات عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، كتبها الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ.

سيرة ابن سعد: وهي سيرة مفصلة للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، كتبها ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ.

البداية والنهاية: وهي موسوعة تاريخية ضخمة، كتبها ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.

المراجع الحديثة:

وهي المراجع التي كتبها علماء حديثًا، ومن أشهرها:

السيرة النبوية الصحيحة: وهي سيرة للرسول صلى الله عليه وسلم، جمع فيها المؤلف الأحاديث الصحيحة فقط، كتبها أكرم ضياء العمري.

الرحيق المختوم: وهي سيرة للرسول صلى الله عليه وسلم، كتبها صفي الرحمن المباركفوري.

السيرة النبوية: حياة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم: وهي سيرة للرسول صلى الله عليه وسلم، كتبها محمد بن عبد الله المباركفوري.

السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث: وهي سيرة للرسول صلى الله عليه وسلم، كتبها عبد المجيد القحطاني.

المحتويات

المقدمة..... - ٣ -
التأكيد على حقيقة الموت:..... - ٦ -
ضرورة الاستعداد للموت:..... - ٧ -
أهمية السير على نهج الرسول:..... - ٧ -
أهمية دراسة السيرة النبوية..... - ٨ -
أهداف البحث..... - ٩ -
منهج البحث..... - ٩ -
المصادر..... - ١٠ -
قائمة المحتويات..... - ١٠ -
الخاتمة..... - ١١ -
المبحث الأول..... - ١١ -
مرض النبي عليه الصلاة والسلام..... - ١١ -
اقتراب أجل المصطفى..... - ٢٣ -
آيات قرآنية تشير إلى قرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم:..... - ٢٤ -
١ ـ وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ:..... - ٢٦ -

٢ ـ مدارسته صلى الله عليه وسلم القرآن مع جبريل:..... - ٢٦ -
٣ ـ مضاعفة اعتكافه رمضان:..... - ٢٧ -
٤ ـ حجَّة الوداع:..... - ٢٧ -
٥ ـ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم واستغفاره لأهل البقيع، وصلاته على قتلى أُحُد:..... - ٢٨ -
آخر وصية للمصطفى..... - ٣٠ -
تسرب خبر وفاة رسول الله في أرجاء المدينة، وأظلمت نواحيها..... - ٣٤ -
حقوق المصطفى على أمته..... - ٣٨ -
نماذج من محبة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم..... - ٤٢ -
الخاتمة وأهم النتائج..... - ٤٧ -
١- التأكيد على أن الموت حق على كل إنسان..... - ٤٧ -
٢- اختبار إيمان المسلمين..... - ٤٨ -
٣- توحيد الأمة الإسلامية..... - ٤٨ -
٤- تهيئة الأمة الإسلامية لقيادة نفسها بنفسها..... - ٤٩ -
٥- فضل الصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:..... - ٤٩ -
مراجع في السيرة النبوية..... - ٥٠ -